العرب
السبت 2020/04/04
السنة 42 العدد 11667

بطل نيويورك الصاعد منافسا لترامب

مرح البقاعي
كاتبة سورية أميركية

من تراكمات حال الفوضى وتلاطم المشاعر بين خوف واكتئاب وحيرة وحذر من المجهول، وفي قلب الكارثة الإنسانية التي نتجت عن اجتياح فايروس خبيث لكوكب الأرض ناشرا الموت أينما حلّ، ومن مدينة أم الكوارث نيويورك، يسطع نجم حاكم الولاية أندرو كومو من رماد هذا القلق والرعب اللذين يجتاحان ولايته، كما الولايات المتحدة كافة، بعد أن أصبحت الدولة الأولى في العالم في عدد الإصابات بفايروس "كوفيد – 19".

فقد غدت المؤتمرات الصحافية اليومية للحاكم كومو ضرورة وحاجة يومية للإعلام من جهة، وللمواطن الأميركي من جهة أخرى. في نيويورك مدينة الحيوية والأضواء و"التفاحة الضخمة" كما يحلو للأميركيين نعتها، هي الآن صاحبة أعلى رقم في إصابة سكانها بفايروس كورونا، بل الأعلى في رقم الوفيات على مستوى الولايات الأميركية بأسرها.

وبينما تستعد نيويورك بحزن ورعب لتصل إلى الذروة في عدد الإصابات في الأسابيع الأولى من شهر أبريل، فإن الأنظار تتجه بكليّتها لمتابعة إدارة كومو لهذه الأزمة غير المسبوقة، وكيف سيقوم وفريقه في خلية الأزمة من المختصين في الصحة وخبراء السلامة المجتمعية باستيعاب هذا الحجم من الإصابات والويلات الاجتماعية والإنسانية المترتبة عليها.

ترامب يرحّب بخوض كومو المعركة الانتخابية لرئاسة الولايات المتحدة إذا قرر الحزب الديمقراطي ترشيحه عوضا عن «النعسان» جو بايدن

وضمن مشهد التحدّي هذا في مواجهة الجائحة الكونية، ينظر النيويوركيون إلى الحاكم كومو على أنه الرجل القيادي الصلب والموثوق، والذي يقترب من حيث نهجه في تولّي زمام أمور ولايته المنكوبة، مما واجهه عمدة مدينة نيويورك، رودي جولياني، في العالم 2001 إثر أحداث الحادي عشر من سبتمبر. ففي ذلك الوقت انتقل جولياني من موقع عمدة مدينة له حظوظ ضئيلة جدا في مستقبل سياسي لمنصب أكبر، إلى قائد بطل واجه الكارثة الأمنية والإنسانية بالكثير من الشجاعة وحسن التدبير، وقدّم لنيويورك المنكوبة بالهجمات الإرهابية أفضل ما يمكن تقديمه في حينها من دعم إنساني ومادي واجتماعي.

استجابة جولياني لكارثة نيويورك في العام 2001 جعلته في نظر معظم الأميركيين بطلا، تماما كما استطاع كومو أن يكسب تعاطف بل وحب النيويوركيين، والأميركيين بصفة عامة، نظرا للجهود الكثيفة والسريعة التي يبذلها، والمبنية على المصداقية والشفافية والمصارحة مع أبناء ولايته عن حجم الكارثة، سواء الآن، أو ما بعد البراء منها خلال أشهر قادمة، وما سيترتّب من آثار اجتماعية ونفسية نتيجة للهلع والعزلة وفقدان الوظائف التي عاشها الأميركيون خلال أزمة الجائحة، والتي ستتطلب إنتاج طرائق جديدة تماما وغير مسبوقة في العيش والتأقلم في مجتمعات ما بعد كورونا.

ظهر كومو يوم الأربعاء في الأول من شهر أبريل في مؤتمره الصحافي المعتاد كل صباح ليخاطب الأميركيين ويضعهم في الصورة المكتملة لآخر المستجدّات في ولاية نيويورك بالأرقام والإحصائيات، موضحا حجم تفشّي الفايروس بين أبناء الولاية والاستجابات السريعة المتّخذة من طرف الطواقم الطبية. إلا أن ما كان مختلفا في ذلك اليوم وأضفى على وجه كومو مسحة من الحزن المضاعف، إعلانه عن إصابة أخيه الأصغر، مقدّم البرامج الشهير في قناة "سي إن إن" كريس كومو.

بدا الحاكم كومو متأثرا جدا بإصابة أخيه، وقال "إن الأسوأ في الأمر أن لا شيء في يدي أقدمه له، وشعوري بالعجز يؤلمني كما يؤلم المئات من الأميركيين الذين يشهدون إصابة أو وفاة أحبتهم في هذا الوقت المظلم الذي نمر به ويمرّ به العالم بأسره".

لم ينس كومو خلال مؤتمر الصحافي أن ينفي الأنباء التي تتناقلها وسائل الإعلام عن نيّته الترشح عن الحزب الديمقراطي إلى جانب جو بايدن لسباق الرئاسة 2020.

أما ما يثير الانتباه فكان تصريح الرئيس دونالد ترامب بهذا الشأن، بأن أشاد بالحاكم كومو في استجابته وإدارته لأزمة كورونا في ولايته، وأشار أنه يرحّب بخوض كومو المعركة الانتخابية لرئاسة أميركا إذا قرر الحزب الديمقراطي ترشيحه عوضا عن "النعسان" كما يحلو لترامب أن يطلق على منافسه جو بايدن ساخرا منه.

وبالرغم من أن ترامب قلّما يمتدح ديمقراطيا ولاسيما إذا كان منافسا له على منصب الرئاسة، إلا أنه امتدح أداء كومو وكيفية إدارة صلاحياته كحاكم ولاية من أجل إنقاذ ما يمكن إنقاذه ضمن مأساة نيويورك العظيمة. إلا أن ترامب لم ينس أن يعزو سبب نجاح كومو إلى الجهود المثمرة للإدارة الفيدرالية المركزية. وقال في ظهور له على قناة "فوكس نيوز" ضمن برنامجه المفضل "فوكس أند فريندز"، "أحد الأسباب التي رفعت معدّل شعبية كومو هو الدعم السريع الذي تلقاه من الحكومة الفيدرالية في تأمين الحاجات الطبية والإسعافية للمصابين بما فيها أربع سفن متخصصة وصلت إلى سواحل نيويورك". وتابع ترامب قائلا "أحد أسباب نجاحه هو أننا ساعدنا في نجاحه"!.

إلا أنه، وفي خضم أجواء إرهاب العدوّ المجهول التي تعيشها نيويورك، لا يمكن للقاصي والداني إلا أن يشهد وقفة أندرو كومو إلى جانب أبناء ولايته في محنتهم، يدعم قطاعاتهم الصحية والخدمية، ويخاطبهم بشفافية وتجرّد عن كل المآرب السياسية والتلاعب الغرضيّ، ويتواصل معهم بلغة أدبية راقية، وهو المحامي والكاتب المعروف، مستشهدا بأقوال عظماء التاريخ كما فعل مرددا على لسان تشرشل مقولته الشهيرة "لا يكفي أن نقول بأننا نفعل أفضل ما نستطيع، بل أن نضمن النجاح لما علينا فعله".

يشهد التاريخ الحديث لمدينة نيويورك أن استجابة جولياني لهجمات الحادي عشر من سبتمبر جعلته بطلا في نظر الملايين من الأميركيين، إلا أن محاولاته لخوض انتخابات الرئاسة الأميركية في العام 2008 قد تعثرت. فهل سيكون لحاكم نيويورك كومو، وهو البطل الشعبي الأميركي الجديد في عيون مواطنيه، حظ أفضل إذا ما طلب منه حزبه الترشّح منافسا لترامب؟ أتساءل.

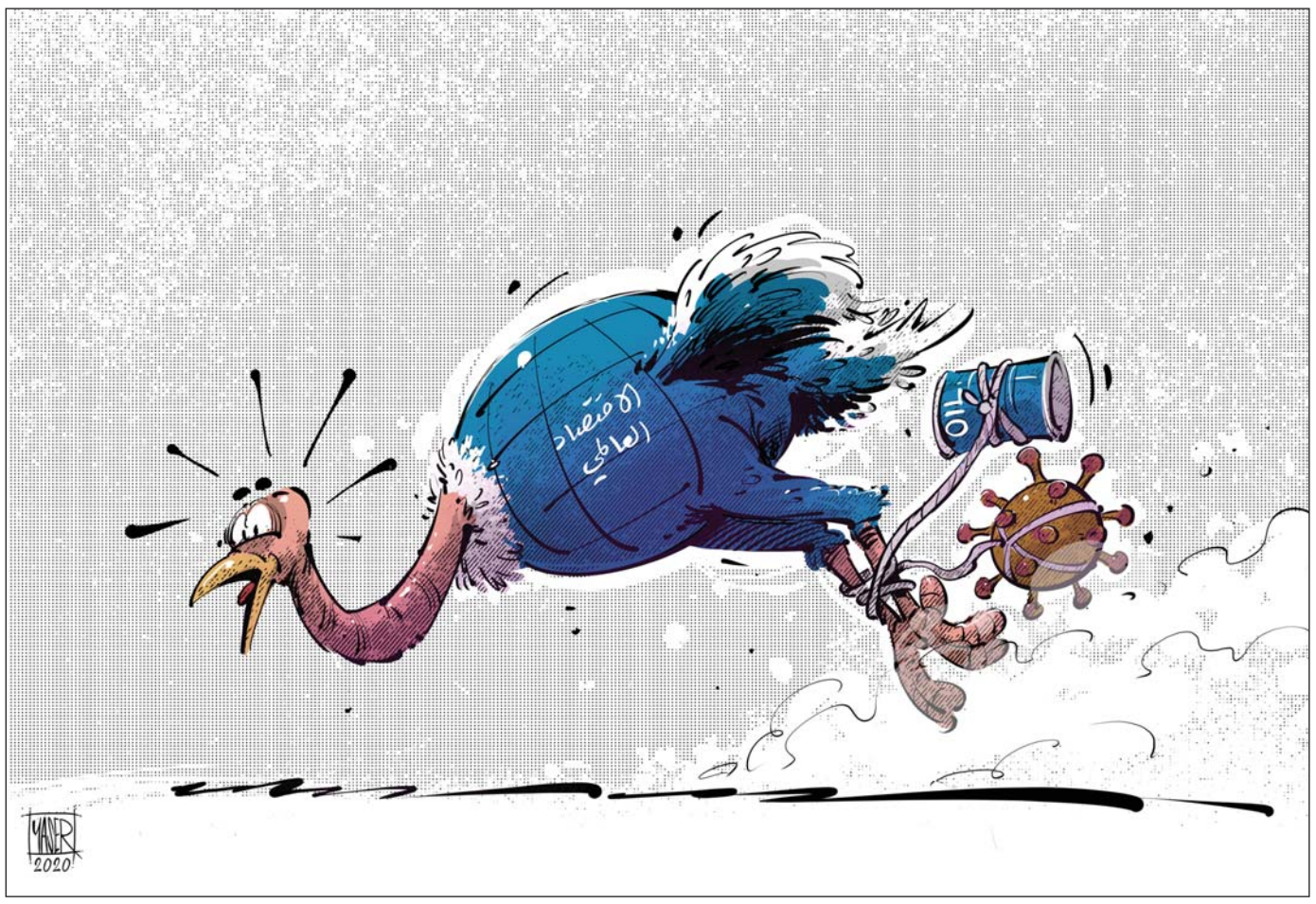

التباعد الاجتماعي والتقارب السياسي في العالم

محمد أبوالفضل
كاتب مصري

لا يحمل هذا العنوان تناقضا في الشكل أو المضمون، فقد كشفت جائحة كورونا عن الكثير من الازدواجية عند الأفراد والمجتمعات والحكومات، وضربت عرض الحائط بحزمة من القيم الثابتة والمعايير التي على أساسها يمكن ضبط المفاهيم، وخرقت حواجز اجتماعية وسياسية لم يتخيل كثيرون حدوثها، ولا نعلم حتى الآن بالضبط أين تتجه الأمور عقب الخروج من المحنة.

وقفت مشدوها وأنا أستمع إلى كلمة ألقتها المستشارة الألمانية أنجيلا ميركل لأفراد شعبها قبل أيام، وهي تناشدهم التزام التباعد الاجتماعي حفاظا على حياتهم، بين كل جملة وأخرى تذكّر بهذا المعنى الذي جاء في صيغ كلها تصب في بوتقة عدم الخروج من المنازل كعلاج وحيد للفايروس في هذه المرحلة. سمعتها تتحدث عن الديمقراطية والحريات وحقوق الإنسان والشفافية والمصداقية، ثم تعود لتذكّر بفضيلة التباعد.

كان خطاب المستشارة الألمانية عاطفيا أكثر من اللازم، اختلطت فيه المكونات السياسية مع الصحية، والإنسانية مع العلمية، لم تتوقف عن التحذير من مغبة خرق التباعد الاجتماعي، باعتباره طوق نجاة، وهو ما تكرر في خطابات الكثير من الرؤساء والمسؤولين على مستوى العالم، وبدا أشد صرامة في الدول التي تعلي من الحريات الشخصية، ولم يكن بالدرجة نفسها في الدول التي تتراجع فيها هذه القيم، حيث امتلأت الشوارع بالبشر، كأنهم غير عابئين بمصيرهم، أو تتساوى الحياة مع الموت.

ربما تكون هذه من المفارقات النادرة التي تستجيب فيها المجتمعات الحرة للعزل، وترفض المجتمعات الأقل في نسب الحرية أو تقع على هامشها الاستجابة.

كل يوم تقريبا يقف الرئيس الأميركي دونالد ترامب يعرض تطورات الموقف في بلاده دون أن يتردد في الدعوة إلى التباعد الاجتماعي أيضا، ربما اتخذ هذه الخطوة متأخرا أو على مضض، لكنه كررها مرارا كوسيلة لتقليل أعداد المصابين، وقدم الحوافز المادية اللازمة للأفراد والشركات الصغيرة التي تصل إلى ثلاثين مليون شركة لعدم الخروج عن النص.

المثير أن الحظر والحجر وكل المفردات الدالة على التباعد الذي ينادي به كبار المسؤولين في العالم، يقابلها تقارب سياسي نادر على الصعيد الداخلي للدول، وعلى مستوى التفاعلات الخارجية، وتقارب مثير في الالتفاف حول مقاومة وباء واحد لم يترك إقليما إلا ووصل إليه.

قد تكون نسب الإصابات والوفيات متفاوتة، غير أنها تكفي للدلالة على أن المصاب واحد.

تلاشت تقريبا المناوشات التقليدية بين الحزبين الديمقراطي والجمهوري في الولايات المتحدة، وهما في أوج الحملة الدعائية التي تسبق الانتخابات الرئاسية، في نوفمبر المقبل، والتي يمكن تأجيلها إذا واصلت الجائحة حصد المزيد من الأرواح، وانصبت اهتمامات الحزبين على البحث عن آليات ناجعة للعلاج، والحد من الخسائر الاقتصادية.

ويقف ترامب في مؤتمراته الصحافية وهو زائغ البصر، لأنه يدرك أنه يواجه أسوأ كابوس لم يتخيله عقل، بعدما اعتقد أن الفرصة في إعادة انتخابه مرة ثانية شبه مضمونة، واتخذ الكثير من الإجراءات السياسية التي تعزز مكانته في المجتمع الأميركي.

اختفت الحملات الإعلامية الصاخبة وتوقف ضجيج الانتخابات التمهيدية داخل الحزب الديمقراطي، لم نعد نرى أو نسمع عن كل من جو بايدن ومنافسه ساندرز. انتهت مبكرا أصعب معركة انتخابية قبل أن تدق ناقوسها. لأول مرة تصبح هموم المجتمع الأميركي بشتى أطيافه السياسية منصبّة على قضية مجابهة فايروس كورونا.

تستطيع أن تمد الخيط السياسي على استقامته في غالبية دول العالم، وتجد أن النتيجة البارزة لكورونا توحيد الشعوب والقوى السياسية للتصدي له، لا تجد صوتا يعلو لمعارض هنا أو هناك، ولا تجد التراشقات والتجاذبات المعروفة بين المعارضة والحكومة.

أدت الأزمة إلى زوال الكثير من الحدود والمسافات السياسية داخل الدول، للدرجة التي جعلت بنيامين نتنياهو زعيم حزب الليكود في إسرائيل وخصمه اللدود يئتهامان على تشكيل حكومة وحدة وطنية بالتشارك بينهما، بعد مخاض عظيم وثلاث جولات من انتخابات الكنيست.

تسبب كورونا في تضييق الهوة السياسية شبه المستحيلة بين الولايات المتحدة والصين، فبعد سلسلة طويلة من الحروب التجارية والاتهامات المتبادلة ومسؤولية كل طرف عن نشر الفايروس، اقتربت واشنطن وبكين من التفاهم على قاعدة الحرب ضد الفايروس، وربما يجري التمهيد لصياغة منظومة جديدة من العلاقات المشتركة بين الطرفين تخمد براكين الغضب السياسي بشأن الكثير من القضايا الحيوية.

أوجدت بيئة جيدة لإمكانية التفاهم على احترام الآخر وفقا لمجموعة كبيرة من المصالح المتبادلة تعلي من شأن المضامين الإنسانية وتخفف من حدة الخلافات السياسية.

من المبكر توقع الشكل النهائي لتداعيات فكرة الانعزال والتفكك الاجتماعي الذي قد تصل إليه دول كثيرة بعد انقضاء الجائحة، لكن هذا هو الوقت المناسب لإعادة النظر في جملة من الملفات السياسية التي وضعت مناطق متباينة أمام فوهة حروب ونزاعات، وأودت بحياة الآلاف وشردت الملايين من المواطنين حول العالم.

منتظر أن تلعب محنة التباعد الاجتماعي دورا إيجابيا مستقبلا، وذلك عبر محاولة الاستفادة من دروسها العميقة كي تدفع القادة نحو تحويل كورونا إلى منحة لتطوير العلاقات السياسية بين الدول، وخلق بيئة مناسبة لترفع كل قوة يدها عن التدخل في تغذية المعارك أو الدفع باتجاه الصراعات وخوضها مباشرة أو بالوكالة، ووصل الأمر في بعض الدول إلى تلاشي الفواصل بين المتحاربين، ولا نعرف أحيانا من يقتل من ولماذا.

لم تعد الكثير من القوى الإقليمية والدولية في الوقت الراهن لديها الفوائض التي تدفعها إلى الإمعان في المزيد من التدخل في النزاعات الخارجية وفرض الهيمنة على الأوضاع في بعض المناطق القلقة، أو العمل على تكريس النفوذ، كما كان الحال قبل نحو شهرين.

يبحث البعض عن تقليل الخسائر، وربما الخروج الآمن، لأن الفترة المقبلة سوف تتغير فيها معالم التمدد التي سادت العالم، ولن تأخذ شكل التدخل المباشر، ومنتظر أن تكون هناك أجندة جديدة يتبناها المجتمع الدولي، تحددها القوى المنتصرة في الحرب على كورونا.

تراجع الاهتمام بالصراعات الجارية في المنطقة، في العراق وسوريا والصومال واليمن وليبيا..، حتى الحرب على الإرهاب أصابها نصيب من الملل، وبقدر ما تكون هذه المسألة مساعدة في تهيئة الفرصة للتنظيمات المتشددة، غير أنها يمكن أن تهيئ فرصة أيضا للتكاتف ضدها، والحد من التناقضات السياسية بين الدول التي تاجرت أو استغلت هذا الملف.

هل لدى إيران القدرة الآن على مواصلة تدخلها السافر في العراق ولبنان وغيرهما، وهي تواجه أزمة مستعصية بسبب كورونا، والتي تحوّلت من حرب صحية إلى سياسية؟ هل تستطيع تركيا ممارسة تصرفاتها السلبية بنفس الدرجة في كل من سوريا والعراق وليبيا، وهي تواجه أزمة متفاقمة بسبب سرعة انتشار الفايروس؟

يمكن القياس على ذلك في مستويات أدنى تتعلق بالجماعات والميليشيات التي تدور في فلك كل من طهران وأنقرة، فمن المؤكد أنها ستعاني من ربيع مظلم، يفرض ترتيب الأوراق السياسية، وإيجاد صيغة للتفاهم بين قوى رئيسية لوقف التدهور الذي تسببتا فيه. المهم أن الخروج من أزمة كوفيد – 19 ومنع تمحوره مرة أخرى قد تكون له تبعات سياسية إيجابية.

الأزمة الصحية وفرت مقدمات متنوعة لإعادة التفاعلات الدولية، وتصحيح بعض المسارات التي قادت إلى صدامات عديدة وفي أماكن مختلفة في العالم